

النبوة - الوحي - المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[تمة ما نشر في العدد الماضي]

بشيراً ونذيراً... « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا . بل نحن قوم مسحورون » ... « ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم الموتي ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله » إلى آخر الآيات التي تبين أن المعجزة الوحيدة التي نحدى بها رسول الله إنما كانت القرآن وحده ...

وبعد هذا أقول للذين يرون المعجزات الحسية عقبة في سبيل الإيمان بالنبوة : أليس الناس متنوعين في التفكير وطرق الانتفاع ؟ فلا بد إذن أن تنوع وسائل إقناعهم . فنههم العقليون الذين يسرون — على أسلوب الله — ويدركون كلمات في الطبيعة ! ولو لم يتحدث إليهم بصوت ولا نبرات ، وهؤلاء قليلون جداً ! ومنهم الأطفال المحدودون الذين لا يصدرون إلا إذا رأوا ثمرة أو جرة ... درهماً أو سوطاً ... وهؤلاء هم الأكثرية العاملة النامية ...

لماذا تنسون طرائقكم في التدريس أيها الفلاسفة الملونون ؟ ألا تنوعون أساليب التفسير والشرح تبعاً لعقول تلاميذكم ؟ وهذا أيضاً هو منطق الله مع الناس ! ...

وبعد فحديث « الوحي والنبوة » كان يجب أن يكون مفروغاً منه عند التأملين بعمق في الطبيعة ... الذين يدركون عمق الحياة وتراحم تياراتها على القلب الإنساني مما لا يد منه من وجود حيل للنجاة فيها ، والطائفة على قيمتها وقيمة الإنسان فيها .

إن وراء الحياة ربها الحكيم الذي يحكم العقل الإنساني وجوده ولن يخلى الطبيعة منه إلا إذا جن واختلط ... وقد وضع الإنسان في قمة الحياة الأرضية ، وصار له اقتراحات وأعمال في تنقيح الطبيعة والتصرف فيها تبين أنه ليس شيئاً تافهاً يعيش على هامش الحياة . فكيف بعد هذا كله يترك هذا الصنف المكرم من غير خطاب من الله من أول الحياة إلى آخرها ؟ ...

إن هذا الخطاب يحكم العقل والوجدان بأنه لا بد منه حتى ولو كان للترف والأنس الروحي بين الله والمخلصين له ... دع عنك الضرورة الاجتماعية الحادة التي تحتّمه ليستطيع الإنسان الرسول أن يحمل العبء مطمئناً متشجعاً صبوراً حمولاً ... لأنه يسمع صوت الله قائلاً له : إرحل واسبر لاني معك ...

كتب الأستاذ العقاد في « الرسالة » عدد ٢٨٥ أو ٢٨٦

نعم ! إن المعجزة الحسية لا علاقة لها بالإقناع عند أكثر من لم يقتنع بالحجج الفكرية ، وأغلب ظني أنها ما أجريت للإقناع ، بل لتعجيز المكابرين وأخذ طرق الإنكار عليهم ، حتى لا يفلتوا إلى عذر بعدها ، وحتى يجعلوا حلاً على الإيمان . ولذلك كانت هي الدور الأخير من حجج الرسل بعد أن تعيهم لجاجة الناس . فوسى مثلاً كما حكى القرآن : دعا فرعون للإيمان بالله عن طريق العقل في أول الأمر ، فلما كذبه وهده به بالسجن . قال : « أولو جئتكم بشيء مبين » وألقى عصاه ... إلى آخر القصة . وكذلك سلك كل رسول من أصحاب المعجزات . فهي كانت آخر سهم في كنانة الرسول أمام المتعنتين . ولم تكن ذات أثر كبير — في حمل بقية الناس على الإيمان كما حكى القرآن . قال : « وما منمنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً » ... والجملة الأخيرة من الآية تدل على أن المعجزة لم يكن ورودها للإقناع ، فهي إنما أجريت لإتمام الحجّة وابتدال كل شيء ، حتى قوانين الفطرة في سبيل غاية الحياة المظلمة — وهي الإيمان — فالذي لا يقتنع عن طريق التفكير والمحاكمة العقلية — بقضية من قضايا الحق — لا يقنعه أن تقلب له المعصية ، أو الصخرة ناقة ، وإنما هو سيتعجب فقط من فعلك ، ويبقى في نفسه الإنكار للقضية التي سقت دليلك الحسي من أجلها .

ولذلك جمل الله الرسالة الأخيرة معتمدة على حجة عقلية دأمة — هي القرآن — انتهى هو الرسالة ، وهو المعجزة المثبتة لتلك الرسالة ... وهذا أمر ذو قيمة كبرى تفرد به الإسلام ! وقد أراد مشركو مكة أن يبهجوا مع رسول الله (ص) طريقة من قبلهم من الأمم في طلب الآيات الحسية ، فأبى عليهم القرآن ذلك ، وقال : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » ... « كذلك قال الذين لا يملكون — مثل قولهم — تشابهت قلوبهم : قد بينا الآيات لقوم يوقنون ، إنا أرسلناك بالحق

أن يقارب منهم ويحاول ما يزاولون ، وهم يقولون إننا نرى أشياء ونصل إلى درجة نخاطب معها أرواح الملائكة والأنبياء

قال الغزالي أبو المعرفة وحصل علوم زمانه في كتابه (المنقذ من الضلال) : « ومن أول الطريقة بتدريش الكاشفات والمشاهدات حتى إنهم (الصوفية) في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه . وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول . وكل ذلك خطأ ... » إلى أن يقول « وبالجملة فن لم يرزق منه شيئاً بالدوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم . وكرامات الأنبياء على التحقيق بدايات الأنبياء وكان ذلك أول حال رسول الله عليه السلام حين أقبل إلى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب : إن محمداً عشق ربه . وهذه حالة بتحقيقها بالدوق من يسلك سبيلها » . ثم بين الغزالي أطوار نمو العقل البشري من إدراك المحسوسات إلى إدراك المقولات وبين أن وراء هذه المنطقة « عيناً أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأموراً أخرى العقل معزول عنها » فلي منكري هذا من الباحثين الشاكرين أن يتبعوا الأسلوب العلمي في الإنكار والإثبات فيسلكوا سبيل أبي حامد الغزالي وأشياعه ليروا أنهم على حق أم على باطل . فلقد كان أبو حامد شاكاً ودرس وسلك حتى أتاه اليقين

إلى الدكتور الفاضل عمر فروخ بيروت
إن الكاتب الفاضل الذي استمداني على مقالتي « المهجزة » المنشور بمجلة الأمل (عدد ٣٧ ص ١) أرسل إلى المدد الذي فيه للقال ، وقد قرأه بإيمان وفهمته منه ما أشرت إليه في مقدمة مقال الأول عن النبوة والوحي واسجزة فانا أصرف إلى نفسي تعريضك به في مقالتي الذي علفت به على مقالتي ، وإلا كنت أنا ظالماً له ومسيئاً إليه ، وأرجو أن تراج للذين يتحمسون في الدفاع عن عقيدتهم التي هي آمن شيء لديهم ما دام الدفاع خالياً من السباب والمهارة فإن هذا هو شأن الباحث الذي يقدر عقائد القلوب . فالكاتب الذي كتب إلى سن بيروت إنما صدر عن إخلاص حين

مقالاً بعنوان « اللذيع الآدي » هو ذو قيمة كبيرة في تحليل النفس الآدمية ، وبيان آفاقها ، وعمق سريرتها ، وقدرتها على التقاط المعاني ، والسيالات من جوف الكون ! ...

وكان بودي أن يكون هذا المقال أساساً الآن لأنقل منه فكرة تقرب معنى الوحي ببيان عصرى إلى العقول التي تأتي أن تصدق شيئاً خارجاً عن نطاق الحس ... ولكنني آسف لأن المقال ليس في متناول يدي الآن !

ومحضرني من معانيه هذا المعنى : إن الكون مليء زاهر بكل معنى من معاني الحياة . فهو كصدر الإذاعة اللاسلكية ، والقلوب لها خاصة الالتقاط كآلات الراديو التي تستقبل . وبعض القلوب قوى يستطيع أن يأتي بمعان صادرة عن أفق بعيد ، كما أن بعض آلات الراديو له قوة على التقاط الموجات البعيدة ... وهذا مدخل نستطيع أن ندخل منه إلى فهم معنى الوحي . فقلب النبي وعقله أعدا إعداداً خاصاً لسماح ما وراء الطبيعة ... وهما في قوتيهما يعتبران قمة الرق الإنسانية الذي يستطيع الإنسان أن يصل إليه في الاتصال بخفايا الكون !

وما دام المصريون يسمون بمذهب النشوء والارتقاء في الأجسام ، فلم لا يسمون به في العقول والأرواح ؟ وإذا كان الله لا يظهر بعض نوره للروح الإنسانية الذي هو نفخة منه فلا شيء يظهره ؟ ...

ولا بد من باب يتقذ منه العقل الإنساني إلى ما وراء الطبيعة . وهذا الباب هو عقل النبي وروحه ؛ ولن يقنع الإنسان بانقطاع الصلة بينه وبين ما وراء الطبيعة إلى هذا الحد الذي تراه من الإغلاق في الطبيعة ، وعدم سماحها بأى نفخة تنفذ منها .

ولو كان منكرو النبوة والوحي يتبعون الأسلوب العلمي في بحثهم حول النبوة والوحي كما يتبعونه في بحثهم في المادة ، ما أباحوا لأنفسهم أن يرفضوا شيئاً لم يقد دليل علمي على بطلانه ، بل ما أباحوا لأنفسهم أن يجادلوا فيه غارقيه من الأنبياء والأصفياء إلا على سبيل الاستفسار لا الإنكار . فكما لا يباح لرجل الشارع الجاهل أن يجادل « ملكن » أو « مراكوني » أو « أديسون » وغيرهم من أساطين العلم المادى ، كذلك لو أنصفنا ما أباحوا لأنفسنا أن ننكر على الأنبياء ما رأوه في آفاق الحياة والروح إلا إذا كنا على قرب منهم في الصفاء والرياسة الروحية التي كانوا يزاولونها ، فالأسلوب العلمي يحتم على من يريد الإنكار عليهم

إلى أنما الحكم إله واحد» إلى آخر الآية . أراني مضطراً
إلى تصحيح رأيي في آرائك تلك في النبوة فقط . أما رأيك
في المعجزة فهو بعيد عن قول القرآن فيها ؛ وفيما أوردته حولها
سابقاً في هذا المقال خلاصة رأيي فيها . ولك التحية
(القاهرة)
شهر المنعم مهوف

أرادني أن أجادل رأيك في المعجزة . أما ذكره اسمه ناقصاً فله عدة
وجوه لا تقدر فيه غير ما أشرت إليه أنت
وأنا قد فهمت من تفسيرك للمعجزة أن في ذهنك صورة
عن النبوة غير ما في أذهان الواقفين عند نصوص القرآن في
معجزات الرسل السابقين . فالقرآن يثبت أن معجزات الرسل

لا دخل فيها للانسان الرسول، وهو ذاته لا يفهمها
ولا يدري سر إجرائها كما يدل على ذلك فرار موسى
حين رأى عصاه حية تهتز كأنها جان ... وأنت
تعرف المعجزة في فهم الخاصة بأنها « عمل إنساني
محض فيه إدراك بالغ لقوانين الطبيعة ووزائع
الاجتماع، فكما كان فهم الإنسان للطبيعة والبيئة أدق
وأعمق كانت معجزته أجمل وأتمن » هذا كلامك
بالحرف . فأنت ترى من كلامك أنه صريح في جعل
المعجزة عملاً إنسانياً ، مع أن القرآن ينمى هذا
النوع بأنه آيات إلهية لا دخل للانسان الرسول
في إجرائها إلا ما يتعلق بتحديد مواعيدها ومواضعها
ثم إنك جعلت توحيد رسول الله محمد للمرب
معجزته الكبرى وقد تم ذلك لغيره في عصور مختلفة
أحدها عصر الملك الحالى عبد العزيز بن سعود .
وقد كان مثل هذا التوحيد في غير الرب من الأمم
أنفجمل ذلك كله معجزات بالمعنى الدني ؟

من أجل هذا فهمت أنك تريد أن تسلك
محمداً في سلك الأبطال المصلحين الذين لا يعتمدون
على مدد من السماء وأنت تريد أن تجعل كل ما فاض
عنه من الأفكار والأخلاق في الإصلاح، والإرشاد
والتشريع، إنما كان كله فيضاً نفسانياً بشرياً صادراً
عن ذاته هو . وهذه مقالة شاعت في هذا الزمان
وهي وفض للنبوة بمعناها عند المؤمنين .

ولكني بعد ما قرأت مقالاتك التى تعلق به على
مقالى ووجدتك تقول : إننى رجل أومن بالنبوة
على ما وردت في القرآن الكريم لا أحيى عن
رأى في ذلك : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى



طبيب الأسنان يقول
ان الراحة الكريمة في الفم
مصدرها غالباً من الأسنان

الرجل الذي تكرهه النساء والرجال أيضاً
لأن راحته فمه كريهة جداً
كان هذا الشاب مكرهاً من جميع أصدقائه دون أن يعرف السبب
لذلك - انهم كانوا يتضايقون من راحته فمه وهو لا يدري .
اخيراً ابتدأت تعمل معجون كولجيت للأسنان فأصبحت راحته
فمه ذكية كالعنبر .
انظر إليه - ان ابتسامته تدل على انه تخلص من راحته الفم الكريهة وزيادة
على ذلك أصبحت أسنانه جميلة بيضاء كاللؤلؤ . استعملوا فقط معجون كولجيت للأسنان

